

المصور العباسية

ملوك الدولة العباسية

ان اول من تولى خلافة الدولة العباسية هو :
١ - ابو العباس السفاح : واسمه عبد الله بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس عم النبي .
بويع بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الاول سنة
١٣٢ هـ « ٧٥٠ م » فانتقل من الحيرة الى الأنبار وجعلها عاصمة
ملكه .

كان ابيض اللون طويل القامة اقنى الانف متجعده الشعر
حسن الوجه واللحية جواداً سديد الرأي كريم الاخلاق ذا فضل
وحزم ومخاشنة . واشترى بردة النبي بربيع مائة دينار .
لكنه كان سفاكاً للدماء شديد البطش شأن كثير من مؤسسي
الدول . ولقب بالسفاح لما سفح من دماء المبطلين . وكان يقال
له المرتضي والقائم ايضاً . استخلف وعمره تسع وعشرون سنة .

وكان اصغر سنّاً من اخيه المنصور . ولما استوثق له الامر تتبّع بقايا بني أمية فالقى القبض عليهم ثم امنّهم واذن لهم في شهود مجلسه . وفيما هم على مائدته يأكلون مطمئين أمر فضربوا بالسيوف والعُصُد وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فاكل الطعام وهو يسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعاً . وكان عددهم نحو التسعين . وبالغ بنو العباس في استئصال شأفة بني أمية حتى نبشوا قبورهم بدمشق واستصفوا اموال اصحابهم . ثم لم تطل مدة السفاح حتى توفي بالجدري في ثالث عشر ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ « ٧٥٤ م » وعمره ثلاث وثلاثون سنة . وكانت مدة خلافته اربع سنين وثمانية اشهر . ودفن بالانبار . وكان نقش خاتمه : « الله ثقة عبد الله . »

٢ - المنصور العباسي : هو ابو جعفر عبد الله بن محمد ثاني خلفاء بني العباس . بويع بعد وفاة اخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ « ٧٥٤ م » وهو حاجّ وتلقب « بالمنصور بالله » وهو اول من تلقب من الخلفاء . وكان طويلاً اسمرّ خفيف اللحية رحب الجبهة اقنى الانف صارماً مهيباً شديد البطش كريم الاخلاق موصوفاً بالذكاء والفراصة . وكان من عظماء الملوك وذوي الآراء الصائبة يلبس الحشن من الثياب وربما رقع قميصه . ولم يكن في داره لهو ولعب . وهو الذي ضبط العساكر ونظّمها ورتب القواعد واقام

الناموس . وكان بجيلاً يُضرب ببخلة المثل وسمي ابا الدوانق لمعاسيته
العمال والصناع على الدانق والحبة . وكان يشتغل في صدر نهاره
في الامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في
الحراج والنفقات ومصالح الرعية . فاذا صلى العشاء نظر في ما ورد
عليه من كتب الثغور والاطراف . وكان ولاية البريد يكتبون
اليه كل يوم بسعر القمح والحبوب والادام وكل ما يقضي به
القاضي في نواحيهم وما يرد الى بيت المال وكل ما يحدث . وهو
الذي بنى بغداد خوفاً من ثورة الاعداء عليه بالكوفة فخطها
وامر بحفر أسسها فأقيمت المدينة وجعلها المنصور دار الخلافة
وكانت اول مدينة عظيمة في مملكة الاسلام وكان عدد سكانها
على ما قيل نحو مليونين .

وفي ايامه نبغت الدولة البرمكية ، وكان السفاح قبله قد
استوزر خالد بن برمك وكان عظيم المنزلة عنده ، فكثروا وافدون
على باب خالد وانتجعه الناس ومدحوه . فلما تولى المنصور
الخليفة اقره على وزارته واکرمه واستشاره . وكان بلاطه
فيخماً . ولما مات ترك وراءه ثروة واسعة قدرها بعضهم بمئة
وخمسين مليوناً . وكانت وفاته « ببئر ميمون » يوم السبت
سادس ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ « ٧٧٥ م » ودفن « بالمعلی » بظاهر
مكة مكشوف الرأس وعمره ثلاث وستون سنة . وكانت

خلافته' احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً وثمانية ايام .
ونقش خاتمه : «عبد الله وبه يؤمن .»

٣ - المهدي بن المنصور : هو محمد بن عبد الله المنصور بالله ويكنى ابا عبد الله . الثالث من خلفاء بني العباس باندوح سنة ١٢٧ هـ « ٧٤٥ م » مات ابوه في الحج وكان عهد اليه بالخلافة فاتاه الخبر الى مدينة السلام بغداد في سادس عشر ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ « ٧٧٥ م » فخطب في القوم ونعى اليهم اياه وقال ان امير المؤمنين عبدعدي فاجاب وأمر فاطاع . ثم اغرورقت عيناه بالدموع وقال : لقد فارقت عظيمًا وقلدت جسميًا . فبايعه الناس . واول من بين تعزيتة وتهنئته ابو دلامة فقال :

عيناى واحدة ترى مسرورة

باميرها جندلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها

ما انكرت ويسرؤها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً

ويسرؤها ان قام هذا يخلف

وكان المهدي اسمر طويلاً معتدل القامة جعد الشعر على

عينه اليمنى نكتة بياض ، وكان جواداً عالماً حليماً وشهماً كريماً
شديداً على اهل الاحاد والزندقة . ولما ولي اطلق من كان في
سجن ابيه ، ووصل ذوي القربى ، وبرّ اهلته واقرباءه ومواليه ،
وقرّر لكل واحد من اهل بيته في كل سنة ستة آلاف درهم ،
وفرّق في الناس اموالاً كثيرة فاغنى كل فقير وجبر كل كسير
وفرّج عن كل مكروب . وكان يجلس في كل وقت للمظالم .
وهو الذي بنى جامع الرصافة ببغداد . وكان صاحب نسك وورع
فلبس الصوف وعمّ الناس بالعدل والمعروف . وكان يسمّى راهب
بني العباس لنسكه وديانته . وفي ايامه شبت بعض الثورات
الداخلية اعظمها ثورة المقتع الخراساني وهو رجل ساحر ادعى
النبوة وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذه وجهاً من ذهب
تقنع به فسمي المقتع . لكن المهدي تمكن من اخماد تلك
الثورات وحاصر المقتع حتى حمله على الانتحار . وقيل ان المقتع
قتل جميع نسائه بالسم قبل ان ينتحر . وسيّر المهدي جيشاً الى
القسطنطينية بقيادة ابنه هارون الرشيد فغنم شيئاً كثيراً ، وكان
صاحب الروم يومئذ « ايروني » امرأة الملك لاون الرابع
الوصية على ابنها قسطنطين السادس ، فخافت وطلبت الصلح
من الرشيد على ان تدفع له فدية سبعين الف دينار كل سنة
فرجع عنها .

وفي سنة ١٦٩ هـ « ٧٨٥ م » مات المهدي « بمآ سبندان »
في ثالث عشر المحرم عن ثلاث واربعين سنة من عمره ودُفن
فيها . واختلف في سبب موته فقيل مات مسموماً بيد جارية
من جواريه اسمها حسنة . وقيل حاز صيداً فدخل وراءه الى
خربة فدق الباب ظهره فمات . وكانت خلافته عشر سنين
وشهراً وخمسة ايام . وكان نقش خاتمه : « العروة لله . »

٤ - خلافة الهادي : هو ابو محمد موسى بن محمد المهدي
رابع الخلفاء العباسيين . بويع بالخلافة في بغداد يوم وفاة ابيه
المهدي لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ هـ « ٧٨٥ م » وكان
اذ ذاك بمرجان فتولى اخذ البيعة له اخوه الرشيد . وكان
طويلاً جسيماً ابيض الشعر . تتبع الزنادقة « وهم الفرس الذين
كانوا ينكرون التعاليم الاسلامية » فقتل منهم جماعة . وقل
ما كان في خلافته من الاحداث . توفي يوم الجمعة رابع عشر
ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ « ٧٨٧ م » ودُفن بقصر « بعيساباد »
وعمره ست وعشرون سنة . وقد اختلف في سبب موته فقيل
انه اصابته قرحة في جوفه . والمشهور من اقوالهم ان امه
المسماة الخيزران عملت على قتله فانها كانت تستبد بالامور
دوننه . وكلمته يوماً في حاجة لم يجد الى اجابتها سبيلاً فقالت : لا
بد من الاجابة اليها . فغضب الهادي وقال : والله لا قضيتها لك .

قالت: اذاً لا اسألك حاجة ابداً. قال: لا ابالي. فقامت مفضبةً
فقال: مكانك! والله لئن بلغني انه وقف في بابك احدٌ من قوادي
لأضربن عنقه. ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى
بابك؟ أمالك ميغزلٌ يشغلك او مصحفٌ يذكرك او بيتٌ
يصونك؟ فانصرفت وهي لا تعقل. ووضعت جواربها عليه لما
مرض فقتلته بالغم وبالجلوس على وجهه فمات.

وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر. ونقش خاتمه:

« بالله اتق.»

هـ - هارون الرشيد: هو هارون بن محمد المهدي ويكنى
ابا جعفر وامه الخيزران. بويع بالخلافة ليلة مات اخوه
المهدي، وذلك ليلة السبت لأربع عشرة بقية من شهر ربيع
الاول سنة ١٧٠ هـ «٧٨٧ م» وكان عمره حينئذ اثنتين وعشرين
سنة. وهو الخامس من الخلفاء العباسيين واعظمهم خليفةً
واكملهم رأياً وتديباً وفطنةً.

وكان طويلًا سمينًا جميلًا ابيض جعداً قد ونخطة الشيب،
وكان به حوال في احدي عينيه لا يبين الا لمن تأمله.

وكان طلق الوجه حسن الرأي والتديب لين الجانب طيب
النفس فكهاً يحب المزاح واللهو، كثير البكاء من خشية الله، يصلي

كل يوم مئة ركعة ولا يتركها الا لعلة . ويتصدق كل يوم من
صلب ماله بالف درهم بقدر زكاته . يجلس مع الناس على الطعام
ويبذل الصلوات . وكان لا يضع عنده احسان محسن . يتواضع
لاهل الادب والفقه ويكره المراء في الدين . ويحب العلم ويؤثره
ويستفيده . ويحب الشعر ويجيد نظمه . ويروى له اشعار حسان
منها قوله في ثلاث جوار :

« ملك الثلاث الفانيات عناني

وحللتن من قلبي بكل مكان »

« ما لي تطاوعني البرية كلها

واطيعهن وهن في عصياني ؟ »

« ما ذاك الا ان سلطان الهوى ،

وبه قوين ، اعز من سلطاني »

وكان يكبر منزلة الشعراء وأهل الادب والعلم في مجالسه
الخاصة والعامية ويميل اليهم كثيراً حتى قيل انه لم يجتمع على باب
ملك او سلطان من الشعراء والعلماء والندماء ما اجتمع على بابه .
واشتهر في ايامه ، وزراؤه البرامكة وهم من العجم وأشهرهم يحيى
وجعفر والربيع ، وكان الرشيد يكرمهم في بدء الأمر ويشق

بهم ثم نقم عليهم فقتلهم وأباد آل برمك وكانوا من أشهر الناس
في السخاء وحسن الإدارة .

وفي أيام الرشيد اتسعت التجارة وكتوت الأموال وزهت

١ كان للخليفة هارون الرشيد مجالس عامة ومجالس خاصة . فبالمجالس العامة كان
الرشيد يجلس على العرش في صدر قاعة قصر الخلافة الكبرى وراء أستار عدة ،
وحوله مئة من الحرس الأشداء مرتدين زيه الرسمي وشاهرين سلاحه . ويقف
حول العرش مئة ويسرة وزراء الدولة واعيانها وكبارها . وكان على من يود
الدخول على الخليفة ان يطلب الاذن أولاً من الحجاب ، وبمقد ان يناله ترفع
الستور الشفافة فيدخل ويؤدي التحية للخليفة ، وكانت التحية تقوم باحناء الرأس
قليلاً وبوضع اليد اليمنى على الصدر ثم رفعها الى الجبهة . ثم يدعو بحضرة الخليفة
بالخير والعدل والبركة . وبعد ذلك يسقط ظلامته او الامر الهام الذي جاء
من اجله .

اما مجالس الخليفة الخاصة فلم يكن ليحضرها هذا العدد الكبير من الحرس
المسلح ، بل كان ولي العهد يجلس على اريكة من يمين العرش ثم يجلس حوله
امراء البيت المالك والموظفون كل بحسب درجته ، وكان يحضر هذه المجالس العلماء
والشعراء والفلكيون والرياضيون والرواة والمحدثون والاطباء والصيدلة
والقضاة واهل الرحلات والاسفار . وكان حديثهم يتناول العلوم والآداب .
واجمل المجالس هي التي كان يلقي فيها الشعراء قصائدهم في مدح الخليفة . او التي
كان يوعز فيها اليهم الخليفة ان يهجو بعضهم بعضاً . وكان اعظم المجالس الخاصة
تلك التي كان يعقدها البلاط في عيد رمضان والافطار والاضحى حول
الموائد السخية .

العلوم والمعارف . ولا ريب ان الخلافة الاسلامية وصلت في
ايامه الى اوج مجدها . فعصر الرشيد هو العصر الذهبي في تاريخ
العرب والاسلام .

وفي أيامه كانت موقعة القسطنطينية مع نيقوفور ملك الروم
الذي قاتله الرشيد وافترض عليه غرامة يدفعها له كل سنة
وقدرها ثلاثون ألف دينار . وفي سنة ١٩٣ هـ « ٨٠٩ م » بلغ
الرشيد عصبان عامله رافع بن الليث على خراسان الذي أغار
على مدينة سمرقند وافتتحها فخرج الى قتاله ، ولما بلغ الى
جرجان اشتد مرضه فسار الى مدينة طوس ومات ودفن فيها في
جمادى الاولى من السنة نفسها .

وكان عهد بالخلافة بعده الى ابنائه ، الى الامين اولاً ومن
بعده الى المأمون ، والى القاسم ولقبه المؤمن بعد المأمون .
وجعل امر استقرار القاسم وعزله الى المأمون . وكانت خلافته
ثلاثاً وعشرين سنة وبعض ايام وعمره سبعاً واربعين سنة .
ونقش خاتمه : « كن من الله على حذر . »

٦ - الأمين بن هارون الرشيد : هو أبو عبد الله محمد
ابن هارون الرشيد سادس الخلفاء العباسيين ، ولد بالرصافة شرقي
مدينة السلام « بغداد » في شوال سنة ١٧٠ هـ . وكان ابيض
طويلاً سميناً صغير العينين به أثر جذري . وكان كريماً يعطي

الصلوات الكثيرة . بايعه عسكر أبيه الرشيد فتهول الى قصر
 الخلافة ببغداد فرقي المنبر بجامع الرصافة وحمد الله واثني عليه
 ثم قال : يا ايها الناس خصوصاً يا بني العباس ، ان المنون بمرصد
 لذوي الانفاس حتم من الله لا يُدفع حلولة ولا ينكر نزوله ،
 فارتجعوا قلوبكم من الحزن على الماضي الى السرور بالباقي تجاوزوا
 ثواب الصابرين وتعطوا اجر الشاكرين . فعجب الناس من جرأته
 وقاموا فبايعه مع جنده وقواده جملة اهل بيته . فأمر للجند
 بمدينة السلام برزق سنتين . ودخل عليه المهنتون فتقدم أبو نواس
 فهنأه بالخلافة وعزاه في الرشيد بأبيات قال فيها :

جرت جوارٍ بالسعد والنحسِ
 فنحن في وحشةٍ وفي أنسِ

العينُ تبكي والسنُّ ضاحكة
 فنحن في مآتمٍ وفي عرسِ

يضحكها القائمُ الامين ويبكيا
 وفاة الرشيد بالامسِ

بدران : بدر ضحى ببغداد في الخلدِ
 وبدرٌ « بطوس » في الرمسِ

ثم قدمت اليه البردة والقضيب والحاتم ووفدت عليه زبيدة
امه من الرقة ومعها خزائن الرشيد فدفعتها اليه .
وبما يحكى عنه انه كان ضعيف الرأي مدمناً الخمر منهمكاً
بالملاهي واللذات، ارسل الى جميع البلاد في طلب الملهمين وضمهم
اليه واجرى عليهم الارزاق واحتجب عن اخوته واهل بيته
وقسم الاموال والجواهر في خواصه وفي النساء والخصيان . ثم
انه كان يعتني عناية خاصة بنزهاته على امواج دجلة فشيد السفن
البديعة وكان يذهب فيها الى ضواحي بغداد واريافها مع ندمائه
وغانياته . وكانت ألحان الموسيقى العربية واصوات الفنانين
والفنانات في هذه النزهات تترجج باصوات الامواج المتدفقة
الصاخبة .

واصطنع الامين في دجلة خمس حراقات إحداها على صورة
الاسد، والثانية بصورة الفيل . والثالثة بصورة العقاب . والرابعة
بصورة الحية . والخامسة بصورة الفرس . وانفق في عملها مالاً
عظيماً . وقد وصفها شاعره أبو نواس وصفاً بديعاً ، ولعل معظم
الطلاب الذين درسوا أدب هذا الشاعر يعرفونها لانها قريبة الى
القلب محببة الى النفس . قال أبو نواس :

سَخَّرَ اللهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا

لَمْ تُسَخَّرْ لِصَاحِبِ الْمَجْرَابِ

فاذا ما ركابه سرنَ برّاً
سار في الماء راكباً لَيْثَ غابِ

عجب الناس اذ رأوك عليه
مثلَ لَيْثٍ يَمْرُ مرَّ السحابِ

سبَّحوا اذ رأوك سرتَ عليه،
كيف لو ابصروك فوق العقابِ

ذاتَ زورٍ ومنسرى وجناحينِ
تشقُّ العُبابَ بعد العُبابِ

تسبق الطيرَ في السماء إذا ما
استعجلوها بجيئةٍ وذهابِ

ويروى عنه ايضاً انه لما ولي الخلافة استبطأ الناس جلوسه
وقالوا : قد تشاغل باللهو . ثم ما لبث ان جلس وامضى الأمور
وقال : أتراني لا اعرف الاصدار والايراد ولكن شرب كأسٍ
وشمُّ آسٍ واستلقاء من غير نعاسٍ أحبُّ إليَّ من مداراة الناس .
وكان قد وقع بينه وبين اخيه المأمون فتنة فأقبل ينكث
عهد المأمون وسعى بخلعه والبيعة لابنه موسى ولقبه بالناطق
بالحق ، فأمر له بالدعاء على المنابر ، ونهى عن الدعاء للمأمون ، وأمر

بإبطال ما ضرب المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان، فما الشر
بينهما، فجهز المأمون لقتاله طاهر بن الحسين وهرثة بن أعين فسارا
إليه وحاصراه ببغداد وتراموا بالمجانيق وأقاما الحصار مدة سنة
فتضايق الأمر على الأمين وفارقه أكثر أصحابه، وكتب طاهر
إلى وجوه بغداد سرّاً يعدمهم إن أعانوه ويتوعددهم إن لم يدخلوا
في طاعته، فأجابوه وصرّحوا بخلع الأمين فنجح الأمين بنفسه
وركب حراقة له فرموا الحراقة بالحجارة فانكفأت بمن فيها
فشقّ الأمين ثيابه وسبح إلى بستان فأدر كوه وهو عريان
وحملوه إلى طاهر فحبسه في بيتٍ وارسل إليه ليلاً قوماً من
العجم فقتلوه واحتزوا رأسه فنصبه طاهر على برج من أبراج
بغداد ثم أرسله إلى المأمون وكتب له بالفتح وارسل إليه الخاتم
والبردة والقضيب، فشكر المأمون الله على ما رزقه من الظفر.
وكان قتل الأمين لست بقين من المحرم سنة ١٩٨ هـ «٨١٤ م» .
وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر . وكان عمره ثمانين
وعشرين سنة . ونقش خاتمه : «حسي القادر .»

٧ - المأمون أخو الأمين : هو أبو العباس عبد الله بن
هارون الرشيد سابع الخلفاء العباسيين ، صارت إليه الخلافة في
الخامس عشر من المحرم سنة ١٩٨ هـ «٨١٤ م» وهو إذ ذلك
بمرور فتوجه إلى بغداد فبايعوه ، واكتفى في خلافته بأبي جعفر

تفاوتاً بكنية المنصور والرشيد في طول العمر . وكان ابيض
الوجه اجناً العين جميلاً مربعاً طويل اللحية ضيق الجبهة بخده
خال اسود تعلوه صفرة شجاعاً مهيباً موصوفاً بالخذاقة والادب ،
ومن اتم رجال بني العباس حزمياً وعزماً وفراسة وفهماً ، أخذ
من جميع العلوم بقسطٍ وضرب فيها بسهم واستخرج كثيراً من
كتب الطب . وكان عظيم العفو جواداً بالمال ، فكان يقول :
لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا اليّ بالذنوب .
وكان ديناً عارفاً بالعلم فيه دهاء وسياسة حتى لقبوه بفيلسوف
الحلفاء وعالمهم . له شغفٌ بمطالعة التواريخ والأدب ومشاركة
في كثير من العلوم والفنون ولا سيما علم الافلاك والنجوم والطب .
وكان كثير الميل الى مناصرة العلم والعلماء حتى شحن ديوانه
بالشعراء والعلماء وأرباب الانشاء . ويقال انه عند جلوسه على
سري الخلافة جمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية والسريانية
والعبرانية فاستجار مهرة الترجمة وكلفهم ترجمة الكتب الفلسفية
والعلمية الى العربية من جملتها كتاب اقليدس في فن الهندسة ،
ثم حرض الناس على قراءتها ورغبتهم في تعلّمها ، وبني المراصد
 ووضع فيها الآلات . وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم
ويبتدئ بمذاكرتهم ، فنبغ منهم في ايامه الفلكيون والرياضيون
والفلاسفة وغيرهم ، وله في الفلسفة آراء حسنة .

وكان مع هذه الاوصاف والصفات من ارباب الغزو والفتوحات . فهو الذي غزا بلاد صقلية « سيسيليا » في اوروبا وتغلب عليها وافتتح جزيرة كريت وغيرها من مدائن الشرق التي كانت تحت تسلط الرومانيين . وكان بلاطه كبلاط ابيه في غاية الابهة والفضامة . ومرض المأمون سنة ٢١٨ هـ « ٨٣٣ م » . ولما شعر بدينه الاجل عهد بالخلافة بعده الى اخيه المعتصم بالله . ودفن في طرسوس بدار جلعان خادم الرشيد ابيه . وعن ابن خلدون انه توفي في طرسوس وكانت وفاته في رجب من السنة المذكورة وعمره سبع واربعون سنة وستة اشهر وعشرة ايام . وكانت مدة خلافته عشرين سنة . ونقش خاتمه : « عبد الله يؤمن بالله مخلصاً . »

٨ - المعتصم بالله بن هارون الرشيد : هو ابو اسحق محمد بن الرشيد ثامن الخلفاء العباسيين ، بويع له يوم وفاة المأمون ، ولما بويع له تشعب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون ، فخرج اليهم العباس وقال لهم : قد بايعت عمي . فسكتوا . وتوجه المعتصم الى بغداد مقر الخلافة . وكان ابيض اصب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون حمرة شديدة البأس عظيم القوة ، قيل كان يحمل الف رطل ويمشي بها . وكان من العظماء الموصوفين بالحزم ذوي المناقب الوافرة والفتوح الظاهرة والفضائل الجملة والهمة

العالية ، جدّ في إعزاز الدين وحبّ قبل الخلافة ، وهو اول من
اضاف الى اسمه اسم الله فقبل المعتصم بالله .

وجرت له في خلافته فتوح لم تكن لأحد من الخلفاء ، منها
فتح عمورية الذي انشده فيه ابو تمام الظائي قصيدته المشهورة :

السيف اصدق انباءً من الكتب
في حدّه الحدّ بين الجِدِّ واللعبِ

ومنها :

يا يوم وقعت عمورية انصرفت
عنك المنى حنفاً معسولة الحلبِ

ونخاتها :

ابقت بني الاصر المصفرّ كاسمهم
صفرّ الوجوه وجلّت اوجه العربِ

وهي طويلة عددها ٧٣ بيتاً اعطاه المعتصم جائزتها ثلاثة
وسبعين الف دينار . وانتشأ المعتصم عامياً يكتب كتابة
مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة . وهو اول من استخدم الاتراك
التتارية لمحافظة الثغور والحدود ، وبلغ عددهم عندما ادخلهم
دراوينه تشبهاً بملوك الاعاجم ثمانية عشر الفاً ، والبسهم اطواق
الذهب والديباج ، فقويت شوكتهم وصاروا على تقادي الايام

اصحاب النهي والامر يقتلون ويولّون من شاؤوا من الولاة
والعمال حتى لم يبق للخليفة في ايامهم من الحكم الا مجرد الخطبة
والاسم . وكانت جميع الامور في ايديهم كما كانت في ايدي
المماليك في الديار المصرية ، فضاقت بهم المدينة وتآذى بهم الناس ،
فبنى المعتصم مدينة سُرّ من رأى بقرب بغداد واسكنهم فيها
وانتقل اليها سنة ٢٢٠ هـ « ٨٣٦ م » . وكان المعتصم يقول بخلق
القرآن كالمأمون ويجلد من لا يقول ذلك .

ومن الاحداث في ايامه خروج بابك المجوسي واستيلاؤه
على جبال طبرستان مدة عشرين سنة ، فارسل اليه المعتصم قائد
جيشه الافشين خيذر فانتصر عليه واسره واحضره الى المعتصم
فقتله . ثم غضب المعتصم على الافشين وحبسه حتى مات في حبسه
وصلب جثته ثم احرقها . وخرج بفلسطين رجل اسمه ابو حرب
المبرقع اليماني الذي كان يعيب الخليفة ، فدري به المعتصم وارسل
اليه رجاء بن ابوب الحضاري فقاتله واسره وحمله الى سُرّ من
رأى « سامرًا » .

وتوفي المعتصم لثاني عشرة مضت من ربيع الاول سنة ٢٢٧ هـ
« ٨٤٢ م » بعد ان قتل في ايامه ثمانية ملوك وفتح ثمانية بلدان .
وكانت خلافته ثمانية سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وعمره ثمانية
واربعين سنة . واولاده ثمانية من الذكور وثمان من الاناث

فسمي « المثنى » من بني العباس لما كان فيه من نسبة الثمانية
من عمره ومدة خلافته ووفاته واولاده وموارثه . وكان نقش
نخامته : « الحمد لله الذي ليس كمثلها شيء . »

٩ - الواصل بن المعتصم : هو ابو جعفر هارون بن المعتصم
ابن هارون الرشيد تاسع الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة يوم وفاة
ابيه في سامراء « سُرَّ من رأى » . وكان جسيماً ابيض تعلوه
صفرة حسن الوجه واللحية في عينه اليمنى نكتة بيضاء . وكان
ليبياً فصيحاً شاعراً يتشبه بعمه المأمون في اخلاقه وكرمه
وعلمه لانه هو الذي رباهُ فقبل افعاله . وحجَّ بالناس واحسن
الى بني الطالبيين وبرَّهم . وكان محبباً للنظر في العلم مكرماً لاهله
مبغضاً للتقليد محبباً للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم
وتأخر من الفلاسفة والمتطبيين . ولم يقع في ايامه من الفتوح
الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر . وفي عهده غزا المسلمون
في البحر جزيرة صِقْلِيَّة وفتحوا مدينة مسينا في عهد الملكة
تاودورة ملكة الروم .

وفي سنة ٢٣٢ هـ « ٨٤٦ م » لما حضرت الواصل الوفاة امر
بطي البساط من تحته وألصق خده بالارض وجعل يقول : يا مَنْ
لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه . وتوفي بمرض الاستسقاء
لست بقين من ذي الحجة ودفن بسرَّ من رأى . وكانت خلافته

خمس سنين وتسعة اشهر . وعمره اثنان وثلاثون سنة . وكان
نقش خاتمه : « الله ثقة الواثق . »

١٠ - المتوكل على الله بن المعتصم : هو ابو الفضل جعفر
اخو هارون الواثق بن المعتصم عاشر الخلفاء العباسيين ، بويع
بالخلافة بسُرٍّ من رأى بعد وفاة اخيه وله من العمر ست
وعشرون سنة . وكان اسمر خفيف الجسم والعارضين قصيراً
حسن العين سهل الاخلاق كريماً حجج قبل الخلافة . غير انه كان
منحرفاً عن العلم وحرية الرأي يضطهد العلماء ، فخيّم الجهل على
بغداد في ايام خلافته بعد ان كانت المركز الممتاز للادب والعلوم .
ذكر بعضهم انه حدث في ايامه زلازل شديدة في الشام
وخراسان واليمن . ولما ولي الامر امر بهدم قبر الحسين بن علي بن
ابي طالب وان يبذر ويسقى موضعه ويمنع الناس من اتيانه .
ثم ثار في ايامه الارمن فاخضعهم واخرج احمد بن حنبل من
السجن ووصله . وامر بتوك الجدل في القرآن وان الذمة بريئة
من يقول بخلق او بغير خلق .
وفي ايامه ايضاً غزا الروم مصر وبدأت الدولة العباسية
بالتقهقر . وكان مولعاً بالبناء ، فبنى قصوراً انفق عليها اموالاً
عظماً .

وفي سنة ٢٤٧ هـ « ٨٦٢ م » كثر المماليك الاتراك في بغداد

فاستولوا على المملكة وصار بيدهم الحبل والربط والولاية والفضل
الى ان حملهم الطغيان على العدوان فسقطوا على الخليفة المتوكل .
وكان المتوكل عقد البيعة لابنيه الثلاثة بولاية العهد وهم المنتصر والمعتز
والمؤيد، ثم ندم على عهده لابنه المنتصر وابغضه لما كان يتوهم فيه
من استعجاله الامر لنفسه، وكان يسميه « المستعجل »، فواطأ المنتصر
المماليك الاتراك على قتل ابيه فدخل قائدهم باغر ورجاله على
الخليفة في مجلس انسه وعنده الوزير الفتح بن خاقان، فصاح الفتح :
ويلكم هذا سيدكم ! ورمى بنفسه على الخليفة ليقيه القتل فقتلوهما
معاً . فكان اول خليفة قتله الاتراك . ومن ذاك الحين ابتداء
نفوذهم في الدولة حتى اصبحوا وهم القابضون على كل شيء فيها .
وكانت مدة خلافة المتوكل اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ودفن
بسُرٍّ من رأى وعمره اربعون سنة . وكان نقش خاتمه : « على
الله توكلت . »

الباقون من الخلفاء العباسيين

اما الباقون من الملوك العباسيين فعندما اعتمدوا الموالي في خلافتهم كان نفوذهم كبير في بلاطهم . وما زال هذا النفوذ يزداد حتى استفحل جداً في القرن العاشر فاصبح الخلفاء آلات بايدي المتنفذين من العجم والأتراك، وادى بهم الامر الى انحلال الخلافة العباسية ونجزئتها الى امارات مستقلة لا تعترف للخليفة الا بالسيادة الدينية فقط . فنتج من ذلك ان مرّ على الخلفاء العباسيين ثلاثة ادوار سياسية :

١ - الدور العسكري التركي : وفيه كان النفوذ الاكبر لامراء الجند التركي الذي كان المعتمد قد شكاه كحرس للخليفة فاصبحوا لضعف الخلفاء الامرين الناهين واصبح الخلفاء آلات يتلاعبون بهم كما يشاؤون . وقد امتد هذا الدور الى ظهور بني بويه واستيلائهم على بغداد سنة ٣٢٠ هـ « ٩٣٣ م » .

٢ - الدور الفارسي (البويهى) : وفيه كان النفوذ لبني بويه امراء فارس . ويمتد الى استيلاء الأتراك السلاجقة على بغداد في السنة ٤٤٩ هـ « ١٠٥٧ م » .

٣ - الدور السلجوقي : ظهر السلاجقة في تركستان ، ثم اكتسحوا الاقاليم الشرقية واستولوا على بغداد . وفي ابان مجدهم كانت سيادتهم على كل البلاد الشرقية « ما عدا مصر » من الاناضول الى الهند . وظلوا اصحاب النفوذ في الخلافة العباسية حتى كانت غارات المغول واستيلاؤهم على بغداد وقتلهم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين وذلك في السنة ٦٥٦ هـ « ١٢٥٨ م » . ثم نتج ايضاً من ضعف الخلافة في بغداد تجزؤ المملكة الى دول متفرقة وولايات متعددة .

فكانت خراسان وما وراء النهر لابن سامان الفارسي وذريته وتسمت الدولة السامانية .

واصبهان وفارس لبني بويه وتسمت الدولة البويهية .
وحلب وما بين النهرين لسيف الدولة الحمداني وتسمت الدولة الحمدانية .

وديار مصر لاحمد بن طولون وتسمت الدولة الطولونية .

وبلاد البحرين للقرامطة .

واليمن لابن طباطبا .

والاهواز وواسط لمعز الدولة .

وغيرهم من الملوك الذين تغلبوا على مصر في ازمئة مختلفة

كالاخشيديين والفاطميين والايوبيين والمماليك الجراكسة .

١١ - المنتصر بالله : هو ابو العباس محمد بن جعفر المتوكل . الحادي عشر من الخلفاء العباسيين . بويع بالخلافة في الصبيحة التي قُتل فيها ابوه المتوكل ونخلع اخويه من البيعة التي اخذها لهما ابوهما . وكان قصيراً جسيماً اثم ضخم الهامة عظيم البطن على عينه اليمنى اثر وقع اصابه في صغره . وكان شيعياً ومن كلامه : ما ذلّ ذو حقّ وان اطبق الناس عليه ولا عزّ ذو بطلٍ ولو طلع القمر من بين عينيه . توفي يوم الاحد خامس شهر ربيع الآخر من سنة ٢٤٩ هـ « ٨٦٣ م » ودفن بالحوسق من سُرّ من رأى . وسبب وفاته ان المماليك الاتراك استولوا على المملكة فدمسوا الى طبيبه ليمسّه ففصده بمبضع مسموم فمات . وقيل جلس يوماً على بساط ديباج فرأى في دائرة فيه كتابةً بالفارسية فقال : ما هذه الكتابة ؟ فقرئت فاذا هي : انا شيرويد بن كسرى قتلت ابي فلم امتع بالملك بعده . فتغير وجهه وقام عن مجلسه فلم يبق بعد ذلك الا يسيراً ومرض فعادته امه وسأته عن حاله فقال : افسدت ديني دنياي . رأيت ابي الساعة وهو يقول : قتلني يا محمد لاجل الخلافة فوالله لا تتمتع بها الاياماً . فما لبث بعد ذلك ان مات وكان عمره خمساً وعشرين سنة . ومدة خلافته ستة اشهر .

١٢ - المستعين بالله : هو ابو العباس احمد ابن الامير محمد

ابن المعتصم ثاني عشر الخلفاء العباسيين . بايعه الامراء واکابر
الممالیک بعد وفاة المنتصر في شهر ربيع الآخر سنة ۲۴۹ هـ
« ۸۶۳ م » ولم يولوا احداً من ولد المتوکل لئلا يطالب بدمه .
ولما دعي لبایع قال : استعين بالله . فلقب المستعين . وكان ابيض
حسن الوجه ظاهر الدم وبوجهه اثر جذري . وكان مسلماً الى الله
تعالى في اموره كثير التضرع اليه في حالتي شدته ورخائه شديد
الآراء حسن التدبير ذا سخاء وجود اديباً شاعراً .

وكانت ايامه شديدة الاضطراب وايام فتن وحروب وخروج
خوارج ، وقويت شوكة الاتراك في بغداد واتسع بينهم وبين العامة
بجال الحصام ، فأجلى الى خلع نفسه في ثالث عشر المحرم سنة
۲۵۲ هـ « ۸۶۷ م » . وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية اشهر .
وقتل بعد الخلع بالقادسية قرب سامرا ، قتله بغا التركي واخذ
رأسه فحمله الى ابن عمه المعتز ودفن بسامرا « سر من رأى »
وعمره ثلاثون سنة وثلاثة اشهر . وكان نقش خاتمه : « استعنت بالله . »

۱۳ - المعتز بالله : هو ابو عبد الله محمد بن جعفر المتوکل
الثالث عشر من الخلفاء العباسيين . بويع له بالخلافة بعد خلع ابن
عمه المستعين سنة ۲۵۲ هـ « ۸۶۷ م » . وكان طويلاً جسيماً
ابيض مشرباً حمرة ادعج العينين اقنى الانف حسن الوجه جعد
الشعر كث اللحية كاملاً بالفضائل والادب والحلال الحميدة .

وفي أيامه استقل بملك مصر احمد بن طولون اول سلاطين مصر في الاسلام . و اقام له الخلفاء بملكة استقلوا بها ٣٥ سنة . وفي سنة ٢٥٥ هـ « ٨٧٠ م » اتفق الاتراك والفراعنة والمغاربة على خلع المعتز بالله لانهم طلبوا ارضاقهم فلم يكن عند المعتز مال يعطيهم اياه ، فصاحوا على بابه : اخرج الينا . فاعتذر من الخروج بانه شرب دواءً لكنه اذن في دخول بعضهم ، فلما دخلوا عليه الجأوه الى خلع نفسه ثم جرّوه بوجليه الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس واقاموه في الشمس بيوم شديد الحر ثم سلموه الى من يعذبه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوه سرداباً وجصصوا عليه فمات في شهر رمضان من السنة نفسها ودفن بسراً من رأى في موضع يقال له السמידع عن ثلاث وعشرين سنة . وكانت مدة خلافته اربع سنين وستة اشهر واربعة عشر يوماً . ونقش خاتمه : « محمد رسول الله . »

١٤ - المهدي بالله : هو ابو عبد الله محمد بن الواثق الرابع عشر من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالخلافة بعد خلع المعتز ابن عمه . وكان اسير رقيقاً ومن احسن الخلفاء مذهباً واجملهم طريقةً وسيرةً واطهرهم ورعاً واكثرهم عبادةً . وكان يجلس للمظالم فيحكم حكماً يرتضيه الناس . وكان يتقلل في مأكوله وملبوسه . وكان قد حرّم الغناء والملاهي وقضى بأن يُحدّ شارب

الحمر كائناً من كان، ومنع اصحابه من الظلم والتعدي فابغضه الجند واهل الفساد . وكان سبب موته انه قتل بعض الموالي فشغب عليه الاتراك وهاجروا واخذوه اسيراً وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فقتلوه في يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب سنة ٥٢٥٦ م « ٨٧١ م » ودفن بسر من رأى الى جانب المعتر وهو ابن سبع وثلاثين سنة . وكانت مدة خلافته احد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً . وكان نقش خاتمه : « هداني الله . »

١٥ - المعتمد على الله : هو ابو العباس احمد بن جعفر المتوكل على الله خامس عشر الخلفاء العباسيين ، بويغ بالخلافة يوم خلع ابن عمه المهدي وذلك يوم الثلاثاء السادس من شهر رجب سنة ٢٥٦ هـ « ٨٧١ م » . وكان اسمر ربعة رقيتاً مدور الوجه مليح العينين صغير اللحية اسرع اليه الشيب منهمكاً باللهمو والمسرات وكان مستضعفاً . واخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على اموره ، فللمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بامير المؤمنين ، ولأخيه طلحة الامر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وفي ايامه خرج احمد بن طولون فظفر بحلب وانطاكية وبقية العواصم ، واستقل بمصر واخذ خراجها وكانت يومئذ آهلة عامرة فاستقل بالولاية مدة ربع قرن .

وظهر بالكوفة قومٌ يُعرفون بالقرامطة نسبة الى رجل يسمى
قرمط ادعى الالوهية فاحدث مشاغب وجاء بوجاله فيحاصر دمشق
وقتل يحيى زعيم القرامطة ثم ولوا مكانه اخاه الحسين فجيش
المكتفي سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) جيشاً على محمد بن سليمان
فانتصر على القرامطة واستولى على دمشق. وهكذا انقرضت دولة
بني طولون في مصر والشام .

وتوفي المعتمد يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ٢٧٩ هـ
« ٨٩٣ م » فجأة ببغداد فحمل الى سامرا ودفن فيها . وكانت
مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة ايام ، وعمره خمسين سنة .
ونقش خاتمه : « اعتمادي على الله وهو حسبي . »

١٦ - المعتضد بالله : هو ابو العباس احمد ابن الامير طلحة
ابن جعفر المتوكل ، بويع بالخلافة يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة
٢٧٩ هـ « ٨٩٣ م » وهو السادس عشر من الخلفاء العباسيين ،
وكان اسمر نحيف الجسم قد وخطه الشيب في مقدم حنثه وله
في مقدم رأسه شامة بيضاء اقنى الانف ، وكان ذا رأي وحزم
وشجاعة وعدل في الرعية ، شهماً فاضلاً عاقلاً محمود السيرة ، ولي
والدنيا خراب والثغور مهمله فقام قياماً مرضياً حتى عمرت
مملكته وكثرت الاموال لديه . وكان قوي السياسة شديداً على
اهل الفساد . وهو اول من سكن دار الخلافة ببغداد وانتقل

اليها من سامر^١، ثم انتقلت دار الخلافة الى ابنته بوران زوجة
المأمون فرمت القصر وفرشته باحسن فرش وزينته وربت
فيه الجواري والخدم . ثم انه اضاف الى القصر ما جاوره
ليوسع الدار بذلك وعمل عليه سوراً . وكان المعتضد يسمى
السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس وكانت ايامه ايام
فتوح وخوارج . ومن اهم الاحداث في ايامه ايقاعه بالاعراب
والاكراد في الموصل وقتله كثيرين منهم وفتح قلعة ماردين
وكانت لحمدان فهدمها وظفر بحمدان ملكها .

وتوفي المعتضد ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة
٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) في قصره المعروف بالحسين ببغداد ودفن
ليلاً في دار محمد بن طاهر . وكانت مدة خلافته تسع سنين
وثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوماً . ونقش خاتمه : « احمد يؤمن
بالله الواحد . »

١٧ - المكتفي بالله : هو ابو محمد علي بن المعتضد، بويع
بالخلافة بعد موت ابيه في ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ « ٩٠٢ م »
ولقب بالمكتفي بالله، وهو السابع عشر من الخلفاء العباسيين .
كان من افاضل الخلفاء دري^٢ اللون رقيق البشرة اسود الشعر
حسن الالحية معتدل الطول حسن العقيدة كارهاً لسفك الدماء
جميل الصورة يضرب في جماله المثل ، قال فيه الشاعر :

قايست بين جماله وفعاله
فاذا الملاحاة بالقباحة لا تنفي

والله لا كلمته ولو انته
كالبدرا او كالشمس او كالمكتفي

ومن الاحداث في ايامه اعادة عمال مصر نواب الخلافة
العاملين . وظهور القرامطة الذين قطعوا الدرب على الحج
واقتلوا الحجر الاسود من الكعبة فصرح المكتفي اليهم جيوشاً
كثيرة فاقوع بهم حتى ابادهم وفتح انطاكية وكان الروم قد
استولوا عليها . وظفر بستين مركباً من مراكبهم التي كانوا
اتخذوها للغزو .

ومن آثاره الحميدة ببناء التاج المشرف على دجلة بدار
الخلافة وما وراءه من القباب والمجلس .

وكانت وفاة المكتفي عشية السبت ثالث عشر ذي القعدة
سنة ٥٢٩٥ (٩٠٨ م) بعد ان عهد بالأمر الى أخيه جعفر، ودفن
بدار محمد بن طاهر بالحريم، وكانت مدة خلافته ست سنين وستة
اشهر وعشرين يوماً .

١٨ - المقتدر بالله : هو أبو الفضل جعفر بن احمد المعتضد

بالله ، بويغ بالخلافة يوم مات اخوه المكتفي ، وهو الثامن عشر

من الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان
حسن الوجه بعيداً ما بين المنكبين بعد الشعر سمحاً كثير الانفاق ،
ولي الخلافة ثلاث مرات فتغلب الجند عليه وانفقوا على خلعه
وعقدوا البيعة لابن المعتز ، وكان ابن المعتز اكثر العباسيين فضلاً
وأدباً وأشعر الشعراء ، فارسل المقتدر وقبض عليه وقتله في
حبسه فاستقام الأمر له بعد الاضحلال وهذه ولايته الثانية . ثم
جرت بين المقتدر وبين مؤنس المظفر امير الجيوش منافرة ادت
الى خلع المقتدر ومبايعة اخيه القاهر . ثم اعيد المقتدر ثالثة
وحمله الجند على اعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير
وصفح عن اخيه القاهر . ثم وقع بينه وبين مؤنس حرب فتوغل
المقتدر في المعركة فضربه واحد من البربر فسقط الى الارض
فقال لضاربه : ويحك انا الخليفة ! فقال له : انت المطلوب . وذبحه
بالسيف .

وفي ايامه نبتت الدولة الفاطمية بالمغرب وولي اخوه القاهر
بالله . وكان قتل المقتدر يوم الاربعاء سابع عشر شوال سنة ٣٢٠ هـ
(٩٣٣ م) ، وكانت مدة خلافته اربعاً وعشرين سنة واحداً عشر
شهرآ . ونقش خاتمه : « العظمة لله . »

١٩ - القاهر بالله : هو ابو منصور محمد بن المعتضد ، بويح

بالخلافة يوم قتل اخوه المقتدر بالله ، وهو التاسع عشر من الخلفاء

العباسيين ، وكان ربيعةً بين الرجال اسمر مستدل الخلق اصهب
الشعر طويل الانف في مقدم لحيته طول، وكان ذا سطوة وبأس ،
قتل اولياء الدولة فخاف منه وزيره ابو علي بن مقلبة ودبر على
خلعه ، واجتمع ارباب الدولة والقواد فخلعوه وسُملت عيناه
وذلك يوم السبت سادس جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٥ م)
وعاش بعد ذلك خاملاً الى ان مات سنة ٣٣٨ هـ (٩٥٠ م)
وكانت خلافته سنة وستة اشهر وثمانية ايام . ونقش خاتمه :
« القاهر بالله . »

٢٠ - الراضي بالله : هو ابو العباس احمد بن جعفر
المقتدر بالله ، بويح بالخلافة يوم خلع عمه القاهر لست خلون من
جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٥ م) وهو العشرون من
الخلفاء العباسيين ، وكان قصيراً اسمر نحيف الجسم اسود الشعر
في وجهه طول وفي مقدم لحيته تمام ، جواداً فاضلاً اديباً شاعراً .
وفي ايامه ضعف امر الخلافة العباسية . فكانت فارس في يد ابن
بويه ، والموصل وديار بكر في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد
الفاطميين ، والاندلس في يد عبد الرحمن الاموي ، فلم يبق في
يد الراضي سوى بغداد وما والاها فبطلت دواوين المملكة
ونقص قدر الخلافة وعم الخراب . وكانت وفاة الراضي في ليلة
السبت سادس عشر ربيع الاول من سنة ٣٢٩ هـ « ٩٤١ م »

ودفن بالرصافة في تربة له منفردة . وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام . ونقش خاتمه : «الراضي بالله .»

٢١ - المتقي بالله : هو ابو اسحق ابراهيم بن جعفر المقتدر ، بويغ بالخلافة يوم توفي اخوه الراضي ، وهو الحادي والعشرون من الخلفاء العباسيين ، وكان ابيض مشرباً حمرة قصير الالف في شعره شقرة كث اللحية اشهل العينين ، سهلاً في اخلاقه ، كثير الصلاح والصيام والعدل بين الملوك ، وله صدقات كثيرة ، وكان ديناً حافظاً للعهد غير مكترث بجمع المال وحفظه .

وفي سنة ٣٣٣ هـ « ٩٤٤ م » كان قد فوض امر الجند الى توزون التركي وجعله امير الامراء في بغداد . ففقد هذا بالخليفة وكفر بالنعمة وسمل عيني الخليفة المتقي واحضر المستكفي وبايعه . وكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وخمسة اشهر وعشرين يوماً . وتوفي بعد ذلك بمدة طويلة يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة ٣٥٧ هـ « ٩٦٩ م » وعمره ستون سنة . وكان نقش خاتمه : « ابراهيم بالله يثق . »

٢٢ - المستكفي بالله : هو ابو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله ، بويغ بالخلافة يوم نخلع ابن عمه المتقي بالله ، وهو الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين ، كان معتدل الجسم ربعة حسن الوجه ابيض مشرباً حمرة اسود الشعر خفيف العارضين اقنى

الانف ، وكان ذكياً لطيفاً ابن الكلام تام المروءة .

وفي سنة ٣٣٤ هـ « ٩٤٥ م » مات توزون امير الامراء

ففقده الاجناد الامر عليهم لابن شيرزاد ، ولما علم معز الدولة بن بويه والي الاهواز بموت توزون سار الى بغداد ودخل بعسكره

الى دار الخلافة فسلم عيني المستكفي واجبره على خلع نفسه ومبايعة المطيع لله ، وما زال محبوباً الى ان توفي يوم الخميس

سادس عشر ربيع الآخر سنة ٣٣٨ هـ « ٩٥٠ م » ودفن بالرصافة . وكانت مدة خلافته سنة واربعة اشهر ، وعمره ستاً

واربعين سنة وشهرين . ونقش خاتمه : « المستكفي بالله امير المؤمنين . »

٣٣ - المطيع لله : هو ابو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر ،

بويح بالخلافة في ثاني عشر جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ هـ « ٩٤٦ م »

وسمي المطيع لله ، وهو الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين .

وفي ايامه قويت شوكة آل بويه . وتم امره على ضعف

الخلافة وطالت خلافته الى سنة ٣٦٣ هـ « ٩٧٤ م » فاعتراه

مرض الفالج وقد ثقل لسانه وتعدرت الحركة عليه ، فخلع نفسه

من الخلافة وسلمها الى ولده عبد الكريم . وفي السنة التالية توفي

في شهر المحرم ودفن بالرصافة في تربة عملها لنفسه عن ثلاث

وستين سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر .

٣٤ - الطائع لله : هو ابو بكر عبد الكريم بن الفضل

المطيع لله ، بويع بالخلافة في ثالث عشر ذي القعدة سنة ٢٠٦٢ هـ
« ٩٧٤ م » ولقب بالطائع لله ، وهو الرابع والعشرون من
الخلفاء العباسيين ، وكان مربوعاً اشقر . حسن الوجه شديد القوة ،
في خلقه حدة ، كريماً شجاعاً بطلاً جواداً سخيّاً غير انه كان
مغلوباً عليه من امرائه وما كان له الا العظمة الظاهرة ، وكانت
يده قصيرة مع ملوك بني بويه فقبضوا عليه وحملوه الى دار
بهاء الدولة فخلع نفسه من الخلافة وسلمها الى اخيه القادر بالله ،
وبقي عند اخيه مكرماً الى ان توفي ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣ هـ
« ١٠٠٣ م » عن ست وسبعين سنة ودفن بالرصافة . وكانت
مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر . ونقش خاتمه : « الطائع لله . »

٢٥ - القادر بالله : هو ابو العباس احمد ابن الامير اسحق
ابن جعفر المقتدر الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويع
بالخلافة وكان هارباً من وجه المطيع ، فلما خلع ارسل اليه
بهاء الدين ليحضر فحضر الى بغداد ودخل الى دار الخلافة فبايعه
الناس ليلة الاحد ثاني عشر شهر رمضان سنة ٣٨١ هـ « ٩٩١ م » ،
وكان ابيض حسن الوجه كث اللحية عريضها يخضب لحيته ،
وكان دأبه التهجّد بالليل والنهار ، حسن الطريقة والسمت كثير
الخير والدين والمعروف ، وفي ايامه رجع للدولة العباسية وقارها
واخذت امورها في القوة ، لان الخلافة قبل القادر كان قد ذهب

روثها بحسرة الديق فاعاد القادر اليها اهتها ووجد ناموسها .
وكان له في قلوب الناس هيبه ، وقد امتاز بطول مدة خلافته
حتى انافت على احدى واربعين سنة . توفي ليلة الاثنين حادي
عشر ذي الحجة من سنة ٤٢٢ هـ « ١٠٣٣ م » ودفن
بدار الخلافة الى ان نقل تابوته الى تربة الرصافة . وكان
عمره ستاً وثمانين سنة وعشرة اشهر واحد عشر يوماً . ونقش خاتمه :
« القادر بالله . »

٢٦ - القائم بامر الله : هو ابو جعفر عبد الله ابن الامام
القادر ابن الامير اسحق بن المقتدر ، ولي الخلافة بعد وفاة ابيه
القادر الذي كان عهد اليه فيها قبل وفاته ، وهو السادس
والعشرون من الخلفاء العباسيين . كان طويلاً معتدل الجسم
بديع الجمال بارع الكمال حسن الشمائل رقيق المحاسن ،
خيراً باهر الفضل كثير العبادة متهجداً لا ينام الا غفلةً ، وكان
له عناية بالادب محباً للعلم والعلماء ، الا انه كان مغلوباً بيد امرائه
وطالت مع ذلك مدته .

وفي ايامه انقرضت دولة بني بويه وظهرت الدولة السلجوقية
التي تسيطر على بغداد والعراق وتسمى زعيمها طغرلبيك امير
الامراء وتزوج بابنة الخليفة القائم .

توفي يوم الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ هـ « ١٠٧٥ م »

ودفن في حجرة بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة . وقبره
يُتبرك به . وكانت مدة خلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر .
ونقش خاتمه : « العزة لله وحده . »

٢٧ - المقتدي بالله : هو ابو القاسم عبد الله ابن الامير
محمد ذخيرة الدين بن القائم بامر الله ، بويع بالخلافة في صبيحة الليلة
التي توفي فيها جده القائم فيجلس بدار الشجرة من دار الخلافة
بقميص ابيض وعمامة بيضاء وطرحه بيضاء ، وسمي المقتدي بالله .
وهو السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين . وكان ابيض جميلاً
طويلاً رقيق المحاسن حسن الشماثل مهيباً شجاعاً ذا همة عالية .
وكانت آثار الخير في ايامه ظاهرة ومواطن العبادات عامرة .
وفي ايامه بني جامع المدينة وكثير من القناطر والمصانع في
طريق مكة ، وحفرت الانهار التي كانت خربة كنهري سيلي
والخالص ونهر بين والاسحافي . وبني منارة ام القرون الشهيرة .
وكانت ايامه ساكنة الاطراف والرعية بين رخص عام وأمن
تام . وكان السلطان في زمانه ملكشاه من آل سبكتكين فتزوج
بابنته المقتدي بالله سنة ٤٨٠ هـ « ١٠٨٨ م » وفتحت طريق
مكة وكانت قد سدت ولم يحج إلا من يغرر بنفسه فجاءت
الدولة المقتدية فحج الناس وشملتهم الكفاية والحماية . وتوفي
ليلة السبت خامس عشر المحرم سنة ٤٨٧ هـ « ١٠٩٥ م »

فجأة ففكتم موته ثلاثة ايام ثم دفن بدار الخلافة ونقل بعد ذلك الى تربة الرصافة . وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر وتسعة ايام . ونقش خاتمه : « من توكل عليه كفاه » .

٢٨ - المستظهر بالله : هو ابو العباس احمد بن المقتدي بالله ، بويغ بالخلافة بعد وفاة ابيه ولقب بالمستظهر بالله ، وهو الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين . وكان طويلاً جميلاً ابيض مشرباً حمرته لطيف المعاسن كريم الاخلاق سهل العريكة سخي النفس مؤثراً للاحسان محباً للعلم فصيح اللسان اذا دعي الى فعل الخير اجاب وان طلب منه الانعام جاد ، لا يتعمد اساءة احدٍ . غير انه كان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق .

توفي ليلة الخميس في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ « ١١١٩ م » عن احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوماً . ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة . وكانت مدة خلافته اربعاً وعشرين سنة وستة اشهر . ونقش خاتمه : « ثقني بالله وحده » .

٢٩ - المسترشد بالله : هو ابو منصور الفضل بن المستظهر بالله ، بويغ بالخلافة بعد وفاة ابيه ولقب بالمسترشد بالله ، وهو التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين . كان اسمر اللون طويلاً رقيق البشرة في مقدم لحيته طول . وكان شجاعاً دينياً مقداماً ذا

رأي وهمة عالية ، فقد اشيا محمد بن العباس .

خرج الى قتال السلطان مسعود السلجوقي ، فلما قرب من
همدان راسل مسعود جماعة من عساكر المسترشد واستفسدهم
فانقلبوا على الخليفة وانضموا الى عساكر السلطان مسعود ،
فتلاحم الفريقان وانزمت جنود المسترشد فأسره السلطان
واستولى على امواله وانزله في خيمة تليق به . ثم هجم جماعة من
الباطنية على سرادق المسترشد وقتلوه ضرباً بالسكاكين ونقلوه
الى باب مراغة فدفن فيها . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة
وثمانية اشهر ، وعمره خمساً واربعين سنة . ونقش خاتمه :
« من توكل على الله كفاه . »

٣٠ - الراشد : هو ابو جعفر منصور بن المسترشد ، بويع
بالخلافة يوم وصل نعي والده ولقب بالراشد ، وهو الثلاثون من الخلفاء
العباسيين . كان ابيض جسيماً مشرباً حمرة جميل الطوية حسن
السيورة كارهاً للفتن محباً للامن . الا ان للمقادير حكمها واخذ
الثار سنة مقدسة عندهم ، فلم تطل مدة خلافته لانه جهز عسكرياً
لمحاربة السلطان مسعود ، فدخل السلطان بغداد واستبد بتدبير
الامور وخلع الراشد وولى عمه ابا عبدالله .

فلما بلغ الراشد خلعه اظهر التمسك ببيعة الناس له ، فاستمر
مقامه بالموصل ومنها خرج لزيارة قبر ابيه في مرغانة فسار الى

اصفهان فمرض ومات ودفن بشهرستان في سابع شهر رمضان
سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) وعمره ثلاثون سنة . وكانت خلافته
من يوم بويغ الى ان خلع سنة واحدة . ونقش خاتمه : « من آمن
بالانتقال عمل للمآل . »

٣١ - المقتفي لأمر الله : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد
المستظهر بالله ، بويغ بالخلافة يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ
« ١١٣٦ م » ولقب بالمقتفي لأمر الله ، وهو الواحد والثلاثون من
الخلفاء العباسيين ، كان عبل الجسم تام الطول عالماً دمت الاخلاق
كامل السؤدد . وكانت أيامه نضرة بالعدل تزهو بفعل الخير
وانتشار العلوم ، وكان لا يجري في خلافته أمرٌ وان صغر إلا
بتوقيعه ، وجرت في أيامه فتن وحروب بينه وبين سلاطين العجم
كانت الغلبة فيها له . وثار في أيامه العيارون والمفسدون
فقمعهم . وكان على غاية من الحلم ما استقاله احدٌ عشرته الا اقاله .
توفي ليلة الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ هـ « ١١٦٠ م »
عن ست وستين سنة ، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة
أشهر وأربعة عشر يوماً . ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة
الرصافة . وكان نقش خاتمه : « كن من الله على حذر تسلم . »

٣٢ - المستنجد بالله : هو ابو المظفر يوسف المقتفي لأمر
الله ، بويغ بالخلافة يوم توفي والده ولقب بالمستنجد بالله ، وهو الثاني

والثلاثون من الخلفاء العباسيين . كان أبيض الوجه مشرباً حمره
ازج الحاجبين أشقر الشعر شهماً عارفاً بالأمور ، وكانت أيامه أيام
نصب ورشاه وامن عام ، ودولته زاهرة ، وسياسته قاهرة ، وكان
آخر من عمل في أيامه بقواعد الخلفاء الماضين وجلس وزيره
بالديوان ارفع المكوس والمظالم ، ولم ينته اليه أمرٌ إلا أزاله ،
وصفت له أيام خلافته واظهرت له الارض ما فيها من الذخائر
واجتمعت له أموال كثيرة .

وفي أيامه ضعفت دولة الفاطميين بمصر . مرض في آخر الايام
مرضة صعبة خنقه على أثرها أكبر دولته في الحمام فقضى في تاسع
شهر ربيع الاول سنة ٥٦٦ هـ « ١١٧٠ م » ودفن بدار الخلافة
عن ثمان واربعين سنة ثم نقل الى تربة الرصافة . وكانت خلافته
احدى عشرة سنة وشهراً وبعض ايام . ونقش خاتمه : « من أحب
نفسه عمل لها . »

٣٣ - المستضي بنور الله : هو ابو محمد الحسن بن
المستنجد بالله ، بويح بالخلافة يوم توفي والده وعمره اذ ذاك ثلاثون
سنة ولقب بالمستضي بالله ، وهو الثالث والثلاثون من الخلفاء
العباسيين . كان ابيض اللون اقنى الانف ازج الحاجبين جميل
الوجه سخياً جواداً حسن السيرة سليم السريرة كريم النفس ،
افرج يوم مبايعته عن المظلومين والمحبوسين واسقط الضرائب

والمكوس ورسوم البيع وسباقات الاعمال ، وفي ايامه عمل جسر
ومند على دجلة واخيف الى الجسر العتيق ، ونصبت الدواليب
بباب الغربية الى الرقة فكثرت ثناء الخلق عليه ، ولم يكن
بسيرته سوء .

توفي عشية السبت في السادس من شهر شوال سنة ٥٧٥ هـ
« ١١٨٠ م » ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة بقصر المأمون
في الجانب الغربي على شاطئ دجلة ، وكانت مدة خلافته تسع
سنين وسبعة شهور . وكان نقش خاتمه : « من فكتو في المال
عمل للانتقال . »

٣٤ - الناصر لدين الله : هو ابو العباس احمد بن المستضي
بنور الله ، بويع بالخلافة يوم وفاة ابيه وعمره ثلاث وعشرون
سنة ولقب بالناصر لدين الله ، وهو الرابع والثلاثون من الخلفاء
العباسيين . كان ابيض الوجه مليح العينين صغيرهما ، ومن
افاضل الخلفاء واعيانهم ، بصيراً بالامور متوقفاً الذكاء والفظنة .
وطالت مدته وصفا له الملك واحب مباشرة احوال الرعية حتى
كان يتمشى في الليل في دروب بغداد ليعرف اخبار الرعية وما
يدور بينهم . وفي ايامه كان ظهور صلاح الدين واستيلائه على
مصر واستخلاصه بيت المقدس من أيدي النصارى الافرنج
وازالة دولة الفاطميين .

توفي ليلة الاحد آخر شهر رمضان من سنة ٦٢٢ هـ «١٢٢٥ م»
ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة الى جانب جده
المستنجد بالله . وكانت خلافته ستاً واربعين سنة واحداً عشر
شهرأ . وعمره تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوماً . وكان
نقش خاتمه : « رجائي من الله عفو » .

٣٥ - الظاهر بامر الله : هو ابو نصر محمد بن الناصر
لدين الله ، تولى الخلافة بعد موت ابيه ولقب بالظاهر بامر الله ، وهو
الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين . كان أبيض مستدير
الوجه عبل الجسم كثير لحم العضدين موصوفاً بالقوة والشدة .
فرق أموالاً وبراً الفقراء فأظهر العدل والاحسان واسقط
المكوس وأنشأ جسراً نصبه على دجلة فصار لها جسران .
ولم تطل ايامه فمات يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ٦٢٢ هـ
« ١٢٢٦ م » ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة بجانب
والده . وكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يوماً . ونقش
خاتمه : « واقب العواقب » .

٣٦ - المستنصر بالله : هو ابو جعفر المنصور بن الظاهر بامر الله ،
بويح بالخلافة يوم توفي والده ولقب بالمستنصر بالله ، وهو السادس
والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، كان ابيض اللون مشرباً حمرةً
مستنير البشرة واسع الصدر معتدل الخلق حسن السيرة والسريرة

ذا علمٍ وعملٍ وعفوٍ وحلمٍ، شهياً جواداً، يواصل المقطعين ويحسن
الى المساكين، يعظم اهل الدين وينفق على اربابه، ويحب اهل
الادب ويقرب منه طلابه وله آثار جليلة . ومن محبته للعلوم
عكف على نقل الكتب الدينية والادبية وانشأ خزانة الكتب
وجمع فيها انواع العلوم على اختلافها، ثم انشأ مدرسة كبرى
على شاطئ دجلة وجعلها وفقاً على المذاهب الاربعة ليحصل بها
كمال المنفعة ، هذا عدا ما انشأ من المشاهد والمساجد والقناطر
ووسع الطرقات واعطى الثياب والخلع والجرابات في شهر رمضان،
توفي بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرى سنة ٦٤٠ هـ
« ١٣٤٢ م » ودفن في الدار المشتملة على دجلة ثم نقل الى تربة
الرصافة، وعمره اثنان وخمسون سنة وستة اشهر وسبعة عشر
يوماً . وكانت مدة خلافته ست عشرة سنة وعشرة اشهر وثمانية
وعشرين يوماً . ونقش خاتمه : « العفو بك اولى . »

٣٧ - المستعصم بالله : هو ابو احمد عبد الله بن المستنصر
بالله، بويع بالخلافة ضحوة نهار الجمعة عاشر شهر جمادى الاخرى
سنة ٦٤٠ هـ واستدعي من مسكنه بالتاج سرّاً من باب يفضي
الى ظهر داره وأجلس على سدة الخلافة وخوَّط بامير المؤمنين
فبايعوه ولقب المستعصم بالله، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء
العباسيين وآخر خليفة منهم .

وكان اسم اللون مسترسلاً للحمية ربعةً ظاهر الحياء لين
الكلام دمث الاخلاق سليم النية لكنه كان ضعيف الرأي عديم
التدبير واهي العزيمة، وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقمي عدواً
له يداريه في الظاهر ويتأففه في الباطن، وكان اسماعيلياً، فصار
يكتب هولاءكو ملك التتر^٢ ويستحثه لأخذ بغداد. فرحف هولاءكو

١ قال الشيخ شمس الدين بن الكوفي :

يا عصابة الاسلام نوحى والظمي حزناً على ما حلّ بالمتعمم
ذئب الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

٢ هولاءكو هو اخو جنكيز خان وخليفته على البلاد العربية .

كان التتر قبائل متفرقة في منغوليا ووصوفين ببربريتهم وغاظة اكبادهم . فوحدها
رجل سباه التاريخ غضب الله ويعرف « بجنكيز خان » نودي به خاقاناً على
هذه القبائل سنة ١١٨٩م وزحف بمجموعها فاحتل الصين وبخارى وسمرقند ونيسابور
والري وهمدان وواصل زحفه على بغداد .

وبعد وفاته تابع هولاءكو الغزوات الصاخبة بجيوش جرارة، وحاصر بغداد
حصاراً شديداً اربعين يوماً ونصب عليها المنجنيقات وامطرها بوابل من الحجارة
والغاز المشتعل واحدت في اسوارها الفجوات فاستلمت .

ويقول ابن خلدون ان ٦٠٠٠٠ اهلكوا في مذبحة بغداد خلال ستة
اسابيع . وبعد ذلك عبر التتر نهر الفرات وافنوا سكان الرها وحران ونصيبين
وذبحوا من سكان حلب خمسين الفاً وواصاوا زحفهم الى عين جالوت فالتقى بهم
السلطان بيبرس فمزمهم وطهر البلاد منهم . ويعرف بالتاريخ بالملك الظاهر .

يعسكر جراً الى بغداد والمستعصم ومن معه في غفلة عنه . فلما
وصل الى ابواب المدينة ارسل الى الخليفة يطلبه اليه . فاستيقظ الخليفة
من نوم الغرور وجمع من قدر عليه وبرز لقتاله باربعين الف
مقاتل فقتلوا من اقبال الفجر الى ادبار النهار الى ان عجزوا
فولوا الادبار ، فقتبهم التتر ووضعوا السيف فيهم وقتلوا من
المسلمين في ثلاثة ايام ما يزيد على ثلاثماية وسبعين ألف نفس ،
وسبوا ورموا كتب مدارس بغداد في نهر دجلة ، فكانت لكثرتها
جسراً يرون عليه ركاباً ومشاةً ، ثم اخذوا المستعصم واولاده
وجماعته واتوا بهم الى هولاءكو فاستصفي اموال الخليفة
ودفائه ، ورمى رقاب اولاده واتباعه ، وامر ان يوضع المستعصم
في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ، ففعل به ذلك سنة ٦٥٦ هـ
« ١٢٥٨ م » فكانت مدة خلافته ست عشرة سنة وسبعة اشهر
واربعة ايام ، وعمره ستاً واربعين سنة .

وهكذا انقطعت خلافة بني العباس وهم سبعة وثلاثون خليفة
اولهم السفاح وآخرهم المستعصم .

وكانت مدة ملك بني العباس منذ انتقلت اليهم الخلافة من
بني أمية الى ان انقرض ملكهم خمسمائة وستاً وعشرين سنة .

حضارة الدولة العباسية في بغداد

لما اضطرب حبل بني امية في الشام انتقل الملك الى بني العباس وهم عائلة شريفة يرجع نسبها الى العباس عم الرسول . فآلف العباسيون في بغداد دولة واسعة الاطراف كثيرة المحاسن جملة المكارم توالى على الخلافة فيها سبعة وثلاثون خليفة في مدة تنيف على الخمسة قرون تبتدىء من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ الى سقوط بغداد على يد هولاء سنة ٦٥٦م . وتنحصر حضارتها باربعة عصور تسمى العصور العباسية . اشهرها العصر العباسي الاول الملقب بالعصر الذهبي الذي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالتروة والحضارة ، لان ملوكها العشرة الاولين من اشهر الملوك والخلفاء . وكانت دورهم آهلة بالادباء والعلماء والشعراء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده .

والعلم لا يزهر الا بظل امير يتعهده ويأخذ بيد اهله ، والناس كما تكون ملوكهم .

فالدولة التي يكون ملوكها على هذه الصورة يجدر بها ان

توهو بالعلم والعلماء ، اذ لا نجد نهضة الا كان للملك او الامير او للرئيس تأثير كبير فيها .

ذلك شأن الاسم بالحكم المطلق . وقد قيل :

« ارادة الملك شريعة المملكة . »

وكما نصر العرب الدولة الاموية فجعلت قاعدتها دمشق على حدود بادية العرب نصر الفرس الدولة العباسية فجعلت عاصمتها بغداد على حدودهم ، حيث اتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . فتضخمت ثروتها وزهت حضارتها وتبسط اهلها في العيش . فتدفقت الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن التف حولهم من الاعوان . قال العلامة سليمان البستاني عن حضارة دولة العباسيين ما يلي :

قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ « ٧٥٠ م » والسلطنة الاسلامية موطئدة الدعائم مشيدة الاركان ، وغزاة العرب ضاربون في المشارق يقوضون ما تداعى من مباني الفرس والرومان فينبذون الانقاض البالية ويشيدون على اسس الحزم دولة قبيض الله لها ان تكون دولة العزة والسلطان في ذلك الزمان . فامتلت خزائن الخلفاء بكسب المجاهدين وجباية الاموال .

وتسرّب ما فاض منها الى بيوت المقربين وصنائعهم من امير وفقير وعميد وشريد . فذاقوا حلو حضارة الدولتين الهاويتين

وتبدلوا مرقمة عمر ذلك الدثار الرث الذي ضم بين رذتيه
عماد الاسلام والمسلمين بيزة الخز والديباج . وعالاته من لبن
وقر وايسر الادام بشهي طعام لماظته الفالوزج والسكباج .
وذلك الرجل على بعير قارخ يمتطيه الخادم والمخدوم وهما سواء
في شرع الاسلام ، بالسروج الموشاة على الجياد المطهية تحف بها
مواكب الحشم والغلمان .

فعلت القصور ووشيت الخدور وزها الرياش وانبسط المعاش .

السلاطين والامراء والعمال

نواب الخلفاء العباسيين في البلاد الاسلامية

لما انقسمت الدولة العباسية الى دويلات متعددة واختل نظامها ظهرت الدولة السلجوقية وهم قوم من جنس الاتراك التتارية تلقبوا بالسلجوقية نسبةً الى جدّهم سلجوق وهو اول سلاطينهم ، فانضغوا الدولة الغزنوية التي كانت قاعدتها مدينة غزنة اي افغانستان، وتغلبوا على اكثر ممالك الشرق، واقتسموا البلاد، وملكوا بغداد والعراق سنة ١٠٥٨م، وتزوج زعيمهم طغرلبيك بابنة الخليفة العباسي القائم بامر الله ، فاقامه نائبا عنه في بغداد ولقبه بالسلطان

وقام بالسلطنة بعده ابن اخيه الب ارسلان . ثم ملك بعده ابنه ملكشاه فامتدت سلطنته من شطوط الصين الى نواحي القسطنطينية . وفي ايام هذه الدولة السلجوقية جاءت طوائف الاقربان الصليبية الى الاراضي المقدسة وكانت اكثر حروبهم مع هذه الدولة .

وفي سنة ١١٧١م تغلبت الدولة الايوبية الكردية على الاقطار

المصرية والشامية . ثم بعد ذلك بعشرين سنة نهض احد خانات
خراسان بجيوش كثيرة واستخلص جميع الممالك السلجوقية
فانقرخت . وكانت مدة ايامها نحو ٥٦ سنة .

وعند نهاية احكام الدولة المذكورة ظهر جنكيز خان الشهير
وهو من قبائل المغول فانخضع كل البلاد الاسلامية .

ومن ذريته قام هولاءكو ملك التتر وزحف بمائتي الف مقاتل
الى العراق ففتح بلاد الري واصبهان وهمدان . ثم قصد مدينة
بغداد سنة ١٢٥٨ م فحاصرها وافتتحها وقتل المستعصم كما مر .
فانتقل منصب الخلافة الى ملوك التتر الذين استولوا على سائر
الممالك الاسلامية .

انتقال الخلافة العباسية الى مصر

بعد ان قتل هولاءكو ملك التتر الخليفة المستعصم سنة ١٢٥٨م واهلك آل العباس واجلاهم عن بغداد استقل بمملكة مصر احمد بن اليك الاتراك البحرية ركن الدين بيبرس البندقداري فقتل ملكها المظفر قطز وتلقب بالملك الظاهر سنة ١٢٦٠م، وذلك ان هذا الملك اصلي قبائل التتر ناراً حامية كان له فيها النصر عليهم في معركة « عين جالوت » ففرض على قواتهم ونظف الجزيرة والشام منهم ، ونادى بنفسه ملكاً على مصر .

لكنه ما تولى زمام الحكم حتى ادرك ان العالم العربي محتاج الى زعيم ديني يجمع شمله برابطة الاتحاد . فاحيا الخلافة العباسية في القاهرة حيث استقدم الى الكنانة الامير الامام احمد من آل العباس بن الظاهر ابن الامام الناصر عم المستعصم الذي نجاه الملك الظاهر بيبرس من منبجة بغداد .

ولما جاءه في السنة التالية عقد مجلساً حضره جميع القضاة والقواد وموظفو الدولة والعلماء والاشراف والتجار والاعيان، وشهد به الجميع امام قاضي القضاة فاثبت نسب احمد المذكور

وبويع بالخلافة في ١٢ ايار سنة ١٢٦١ م ولقب بالمستنصر بالله .
وكان اول من تقدم اليه وبايعه السلطان الظاهر بيبرس الذي
انفق مالا جسيماً في عمل آلات الخلافة وفي استخدام عسكري له ،
ثم قاضي القضاة فالقضاة والعلماء والاشراف والاعيان . ثم سار
في موكبٍ فخيم الى المسجد الجامع ولبس البردة والقى الخطبة
على المصلين وهو ينوب فيها عن صاحب الرسالة . وسكَّت النقود
باسمه ودعي له ايام الجمعة .

وبعد اتمام المبايعه في الحفلة التقليدية أعلن ان بيبرس الظاهر
يستمع بلقب السلطان وقلَّده الخلع الا لزامه . وهكذا انتقلت
الخلافة العباسية من ضفاف دجلة الى ضفاف النيل . وعرف العالم
العربي المستنصر بالله في القاهرة بعد مقتل المستعصم بالله في بغداد .
وبعد مدة جهز الخليفة المستنصر ليسيروا الى بغداد ويستخلصها
من التتر . فسار بجيشٍ كثيفٍ والتقى على الفرات بأحمد
العباسي من عقب هرون الرشيد . فصار أحمد الى المستنصر طائِعاً
له ورحلاً معاً الى الحديقة . وكانت لهما مواقع مع التتر فقد
فيها المستنصر ولم يوقف له على اثر . فقدم أحمد القاهرة
وبويع بالخلافة ولقب بالحاكم بأمر الله . ومن ولده كان جميع
خلفاء مصر العباسيين . وقد استمروا في مصر على الخلافة الدينية
ولا ولاية لهم الى سنة ١٥١٧ م حين تخلى الخليفة الاخير منهم

عن الخلافة الى السلطان سليم الاول العثماني .
فكان عدد الخلفاء العباسيين في مصر خمسة عشر خليفة .

حضارة العرب في تجارتهم

ان التجار العرب كانوا اسياد التجارة في القرن الرابع للهجرة ،
فاشتهروا بها وكانوا في ميادينها من السباقين . وقد اكتشفوا
الطرق البرية والبحرية . فجاوبت قوافلهم اقاصي البلاد واجتازت
الهند والتيبه والصين وتركستان وافريقية حتى خط الاستواء .
وكانت سفنهم التجارية تمخر في بحار الصين والهند والفلزم والبحر
الابيض والبحر الاحمر والشواطىء الافريقية .

وفضلاً عما عرف التاريخ من الاثرياء منهم كالشريف عمر
الذي كان دخله السنوي ما ينيف على المليونين من الدراهم .
و كأحمد بن عمار الذي اثري ثراءً فاحشاً وكان يتصدق كل
يوم بمئة دينار ويحسن الى الطبقة العاملة حتى ادّى به ثاؤه الى
تولي الوزارة في عهد المعتصم .

و كالحسن بن عبد الجصاص الذي كان تاجراً كبيراً بالجواهر
في بغداد والقاهرة ، وكان بدء ثروته من بني طولون في مصر .
وامتاز ابناؤه بالاستغال بالجواهر حتى انهم جمعوا منها الضياع
والدور والملايين .

فضلاً عن كل ذلك لم تزدهر حضارة العرب في تجارتهم أكثر

من ازدهارها في ظل الامبراطورية العربية. لانه تبين ان الثروة لا تفيض الا في العواصم بجوار الخلفاء والوزراء الذين كانوا يبذلون الجوائز والاموال والهدايا والخلع للناس عن سعة.

وان هذا العطاء لطبقات الامة كان أصل الثروة. فاذا أنفقت الدولة انتعش رجالها وأفاضوا على الاسواق من خيراتهم. واذا قبضت يدها وقع الكساد.

قال ابن خلدون: « ان الدولة والسلطان هما السوق الأعظم للعالم. فاذا احتجج السلطان الاموال او الجبايات او فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما بأيدي الحاشية والحامية وانقطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم. فيقع الكساد حينئذ في الأسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج. لان الخراج والجباية انما تكون من الاعتماد والمعاملات ونفاق الاسواق. فان الدولة هي السوق الاعظم وام الاسواق كلها، وأصلها ومادتها في المدخل والخرج. فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك وأشد منه. » وهكذا نرى ان التجار وأرباب المهن الحرة لم يجدوا مجال الثروة أمامهم مفتوحاً في عصر الامبراطورية الزاهي الا حينما استظلوا بظل الخليفة والسلطان واستفادوا من رعايته ورعاية حكامه الذين كان يبدعهم أمر الانفاق على الاطلاق.